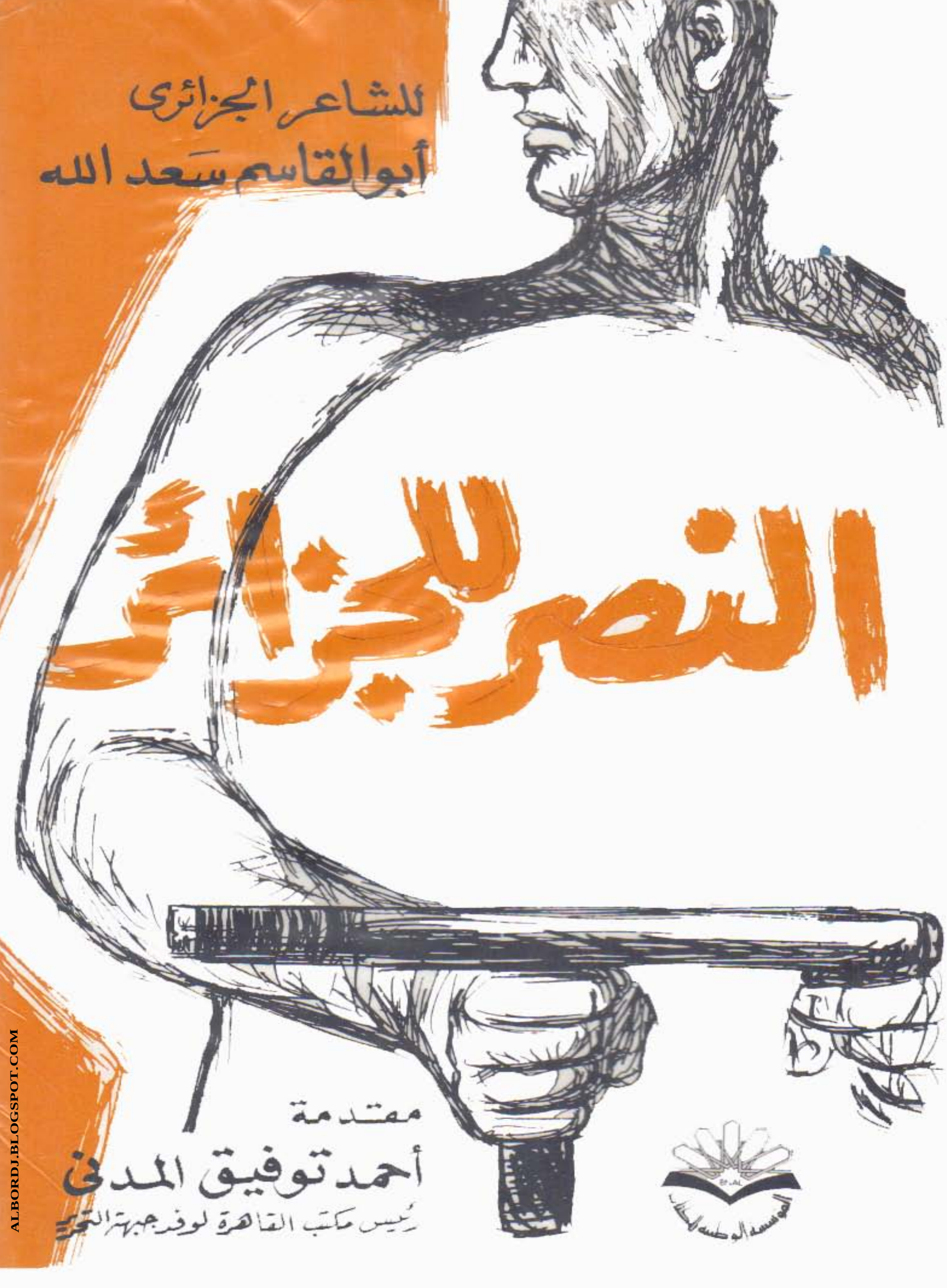

للشاعر الجزائري
أبو القاسم سعد الله
النصر للجزائر
مقدمة
أحمد توفيق المدني
رئيس مكتب القاهرة لوفد جبهة التحرير

للشاعر الجزائري

أبو القاسم سعد الله



الطبعة الثالثة

مقدمة

أحمد توفيق المدني

رئيس مكتب القاهرة لوفد جبهة التحرير



المؤسسة الوطنية للكتاب ©
رقم النشر 86/2254
الجزائر 1986

الاهداء

باسم هؤلاء
باسم قرابين الحرية في ثرى، أوراس،
وجرجرة والونشريس والأطلس
باسم الأرض الثائرة، المتمردة على النار
والقيود والسّياط
باسم الجزائر الزاحفة إلى الفجر.. إلى
النّصر الأكبر
باسم هؤلاء جميعًا كتبت قصائدي،
واليهم جميعًا أقدمها، في عناق
الحرية الأبدي

سعد الله

القاهرة 17.4.1957

مقدمة الطبعة الثانية

هل اذا تقادم العهد بالشعر يفتر ويفقد حرارته فلا يعود يثير ويمتع كما كان يثير ويمتع يوم ان كان جديدا ؟ قضية لا نحسب ان هناك اجماعا حولها بين النقاد ومتذوقي فنَّ الشعر ولكنها مع ذلك قضية تسترعى الانتباه

غير انه يمكننا ان ندعى بأن هناك شعرا لا يعتريه القدم والذبول بل يظل محتفظا برونقه وجدّته مهما طال عليه الزمن ونعنى به الشعر الصادق الاحساس المعبر عن انفعال انساني عميق بأدوات قادرة على توصيل ذلك الاحساس وهذا الانفعال الى الآخرين وليست هذه الأدوات الا ما اصطلح عليه الناس باللغة والموسيقى الشعرية والصورة والخيال فاذا ما توفرت هذه العناصر في شعر ما فانه لن يخضع لقوانين الفناء بل سيكون شعرا حيا خالدا وجديدا على الدوام ، ولو قيل في عهد امرىء القيس وهوميروس

ولا ازعم ان هذه المجموعة الصغيرة من شعري قد توفرت لها شروط الخلود المذكورة ، ولكنني ازعم لها شيئا واحدا من ذلك وهو صدق الاحساس اما ما فيها من حسن التعبير ووفرة الخيال وجمال الصورة او خلوها من ذلك كله فهذا ما اترك الحكم فيه لنقاد الشعر لأنني افضل في هذا الأمر ان اكون حكما على شعر غيرى لا على شعري

وهناك قضية أخرى احب ان أشير اليها ولو باختصار وهي أولية الشعر الحر في الجزائر فقد تجادل بعض النقاد عندنا فيمن هو الأول من شعرائنا الذي ادخل هذا النوع من الشعر الى الجزائر فذهب بعضهم الى ان رمضان حمود اول من جرب الشعر المنثور وقال آخر ان عبد الكريم العقون اول من حاول الشعر المقطع ، ورأى فريق آخر انني اول من حرر الشعر من قيود الوزن والقافية ولكني احب ان اطمئن الجميع بأن هذه قضية نسبية وما دامت كذلك فان الأولية فيها ليست مطلقة فقد يكون هناك من الشعراء من سبقني الى الطريقة الحرة ولكنه لم يتح له ان ينشر تجربته وقد توجد ظروف تسمح لهذا الشعر بالاظهار ولآخر بالاقبار ولولا ظروف معينة ما نشرت قصيدتي (طريقي) في جريدة البصائر المحافظة وهي القصيدة التي اعتبرت عند فريق من النقاد الاولى من نوعها في الشعر الجزائرى الحر وادكر انني شخصيا نظمت عدة قصائد قبل (طريقي) وارسلت بها للنشر فلم تنشر لأن القائمين على الجريدة عندئذ رأوا فيها خروجا عن المألوف ولعل غيرى حاول النشر وفشل بينما انا حاولت الى أن نجحت

ان تجربة الشعر الحر (وغيرها من التجارب) لا تقاس اوليتها بنموذج واحد او نحوه ولكن بتعدد النماذج واقتناع الشاعر نفسه بها ومحاولته الاجادة فيها ذلك ان التجربة قبل كل شيء «اختيار» والاختيار يقتضى الالتزام الذي يعني بدوره الايمان بالتجربة ومحاولة اتقانها والمساهمة في اثرائها اما اكتفاء احد الشعراء بنموذج واحد او نحوه من غير مألوف الشعر (سواء كان منثورا او مقطعا او حرا) فيعتبر في نظري نوعا من التنطع بل ضربا من الجبن الادبي الذي قد يكون أخطر من الجبن الاخلاق والعسكرى

ومن جهة أخرى فان أخطر ما ينطق به ناقد من النقاد هو كلمة «أول» هذه فاذا زعم هذا الناقد ان فلانا «اول» من قال أو كتب كذا فقد وقف على قشرة الموز ولم يبق الا ان يكتشف احدهم (أو يكتشف هو بنفسه) ان هناك «اول» آخر حتى يسقط ذلك الناقد مغشيا عليه

* *

وليس من الغريب ان يكون لهذا الكتاب قصة عند نشره أول مرة واعتقد ان لكل أديب قصصا مع مؤلفاته ودواوينه خصوصا مع بأكورات اعماله ولا يعرف القراء ما يدور في كواليس النوادي الأدبية وفي مكاتب الناشرين من مفاوضات والحاحات واصرارات من هذا الجانب أو ذاك ومن بساطة وسذاجة وطيبة من جانب أو من استغلال واستثمار وجشع من الجانب الآخر. ان الذين جربوا النشر وهم في طريقهم الى الشهرة والمجد الادبي يعرفون كل ذلك فينفرون منه عند تذكره ، لانه يفكرهم بلحظات حر جة في حياتهم ، أو يستلذونه لانه يذكرهم بعهد الشباب الطافح وفترة المعاناة التي ترافق المخاض بالمولود الجديد

لا يعرف الشوق الا من يكابده

ولا الصبابة الا من يعانيها

أقول هذا الآن لأن القراء لا يعلمون الغيب ولا ير يدون ان يطلعو ا على اسرار التأليف وخروج الفرخ من البيضة وعليه خيوط من دم المكابدة وتهاليل الانتصار بتغلبه على حراس السجن الرهيب وهل اذيع سرا اذا قلت للشباب الذين يطالبون اليوم بنشر كل ما يكتبون بالتعويضات المادية عن كل كلمة يكتبونها بأنني شخصيا لم أقبض دينارا واحدا عن (النصر للجزائر) في

طبعته الاولى ولا عن كتابي (محمد العيد رائد الشعر الجزائري) ولا عن الاشعار والمقالات والابحاث التي نشرتها في البصائر والآداب ؟ وهل يعرفون ان الطبعة الاولى من (الحركة الوطنية) لم تظهر الا بعد أن سددت أنا نصف التكاليف مقدما ؟ وهل يدرون ان اعلان وزارة التربية الجزائرية عندئذ بأنها دفعت لي مبلغا ماليا مساهمة منها في الكتاب لم يتحقق منه شيء ؟ ومع ذلك استمر الطائر في تحليقه بحثا عن الحرية وبعيدا عن كل الشباك ومغريات الصيادين لأن نشر الكلمة هو هدفه الاسمى والتعريف بالأدب الوطني هو ضالته الكبرى والمتعة الأدبية هي غايته القصوى ، ولكن الجاهل يحسبنا اغنياء من التعفف

وهذا جانب فقط من قصة نشر هذه المجموعة لاول مرة اما الجانب الآخر فيتعلق بطبيعتها وحجمها ذلك ان بعض القراء قد تساءل عند صدورها عن بعض المقدمات التي وردت فيها وعن وجود نصوص استشهد بها الشيخ احمد توفيق المدني في تقديمه ، وهي غير موجودة ضمن القصائد ، ونحو ذلك من الظواهر التي قد تدعو الى التساؤل عند من لم يطلع على خلفيات الامور ولعل اعادة طبع المجموعة يمكنني من فرصة الحديث عن ذلك

كانت الثورة الجزائرية قد دخلت سنة 1956 ، مرحلة هامة من حياتها خصوصا بعد مؤتمر الصومام واندمجت فيها اندماجا كليا بالعاطفة والروح والعقيدة والكلمة ثم جاءت معركة مدينة الجزائر واضراب 1957 وتطورت الاحداث بسرعة واصبحت الثورة حديث الجميع ، معجبين ومستفسرين وباحثين ، قوميين وشيوعيين وبعثيين ، شعراء وكتابا ونقادا وكنت اتردد على ادارة مجلة (الرسالة الجديدة) التي كان يختلف اليها عدد من الادباء المصريين اليساريين امثال عبد الرحمن الخميسى وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمود امين العالم ، كما كنت ألتقي في مؤتمرات ونوادي الطلبة العرب بالادباء الشباب المجددين امثال رجاء النقاش واحمد عبد المعطى حجازي ، وصلاح عبد الصبور ومحمد الفيتوري وغيرهم

وخلال ذلك اجتمع لدي عدد من القصائد الوطنية والعاطفية ، كنت قد نظمتها سنوات 1954 ــ 1956 بالجزائر ثم القاهرة فأخذت ابحث عن ناشر لشعري ومن لمثلي بناشر يغامر بماله وسمعته من اجل شاعر جزائري مجهول ، ما يزال فنه الشعري في بداية الطريق ؟

لقد ترددت على عدد من دور النشر حاملا ديواني بين يدي ، فكان بعضهم يردني بأدب ويتمنى لي آخر التوفيق مع ناشر غيره ويقول لي ثالث ارجع الينا بعد تبدل الظروف ، ويطالبني رابع بدفع تكاليف الطبع الخ فكنت أعود الى بيتي في كل مرة مهموما قلقا ولكن اليأس لم يعرف الطريق الى قلبي

وقد لاحظ علي ذلك احد اولئك النفر من اليساريين الذين كانوا يتعاطفون مع القضية الجزائرية في منظورها العالمي ويظهرون نحوها تفهما وحماسا لا نكاد نجده عند الفئات الأخرى ، فنصحني بعرض ديواني على (دار الفكر) التي كان مديرها ابراهيم عبد الحليم ، من الفئة نفسها ، وهو أخو الشاعر اليسارى كمال عبد الحليم حملت ديواني وذهبت الى دار الفكر فوجدت تفهما لم أجده عند أصحاب الدور الأخرى ، وطلبوا مني ترك المخطوط عندهم حتى يقرروا بشأنه رأيا وضربوا لذلك موعدا وكان عنوان الديوان كما قدمته (صحو) أو (اغاني الجزائر) وكان الشيخ احمد توفيق المدني قد كتب له مقدمة بطلب مني قبل تقديمه الى دار الفكر

وعدت في الموعد المضروب لأعرف رأي الدار في نشر الديوان ، فقالوا لي انه في المطبعة وكانت طبعا مفاجأة كدت أطير لها فرحا ! اذن سينشر ديواني وسيقرأ الناس شعري وسأدخل نادي الشعراء من الباب الكبير ! وبعد لحظات النشوة الاولى سألت وكيف وقع ذلك ؟ فأخبروني بأنهم «اختاروا» منه القصائد ذات الطابع الجماهيري المعبر عن وعي العمال والفلاحين والفئات الاجتماعية المحرومة واستبعدوا منه القصائد ذات الطابع الرومانتيكي أو الذاتي وعندما أعادوا الي الباقي من الديوان وجدت أن القصائد «المختارة» لا تمثل سوى جزء ضئيل منه وليست بالضرورة اجود القصائد ،

وكان العنوان (النصر للجزائر) من اختيار الدار الناشرةايضا ولكني رأيته مناسبا فلم أعترض عليه ولكن مقدمة الشيخ المدني بقيت تضم نماذج من الشعر الذي لا وجود له ضمن المجموعة

وهكذا وقعت العقد مع الدار وانا بين الرضى والسخط الرضى لأن بعض شعري على الأقل قد ظهر بين دفتي كتاب وان اسمي قد برز بين الشعراء الشباب وان مساهمتي في الثورة قد أخذت تشق طريقها والسخط لأن الدار قد وضعتني أمام الأمر الواقع وتصرفت في انتاجي كما لو كان ملكا لها وقبل أخذ رأيي واستغلت سذاجتي وطموحي واسم الثورة الجزائرية لكي تنشر افكارها الخاصة بين القراء ولذلك اصدرت (النصر للجزائر) ضمن نشاطها في (اسبوع التضامن مع الشعب الجزائري) واضافت إليه ترجمة الشرقاوي لقطعة لجاك ديوا وملأت صفحة الغلاف الأخيرة بإعلانات عن مطبوعاتها التي تناصر فيها الاتحاد السفييتي وتنتقد الولايات المتحدة الامريكية وهكذا ادخلت دار الفكر مجموعتي الشعرية الى ميدان الحرب الباردة العالمية دون أن يكون ذلك منطلق أهدافي ولا مبعث تفكيري

ولم تمض سوى بضع أسابيع حتى دخل (النصر للجزائر) سوق الأدب وساحة الثورة وميدان الحرب الباردة فاشتراه طلاب الجزائر في المشرق العربي «تشجيعا» لانتاج طالب منهم ومساهمة منهم في دعم الثورة الجزائرية ، وتناولته بعض الأقلام اليسارية وانصار الثورة بالتعريف والاستشهاد منه بينما احجمت عنه الاقلام اليمينية وحتى البرجوازية لأن اللون الأحمر كان يغلب عليه وكان اللون الأحمر يثير هذه الفئات عندئذ كما يهيج الثيران الاسبانية

ولكن خلال تلك الأسابيع القليلة من ظهور (النصر للجزائر) اختفت دار الفكر نفسها فقبل ان تحاسبني الدار

على ما جنته منه من «ارباح» اغلقت السلطات المصرية ــ كما قيل لي ــ مقر الدار وصادرت مطبوعاتها ، ومن ضمنها (النصر للجزائر) وهكذا اختفت بقية نسخه من الأسواق ، وذهب ناشروه (الى حيث القت رحلها أم قشعم) ، ولم يبق عندي من هذه العملية المضنية الطويلة سوى نسخة من الديوان وعقد من الورق الكبير ينص احد بنوده على انني سأتقاسم الأرباح مع دار الفكر بعد بيع جميع النسخ وتسديد ثمن التكلفة

مهلا ايها الذين تنكرون القضاء والقدر ! هل تعرفون ان وراء الاخبار التي تسمعون كل يوم والكتب التي تقتنون والشعر الذي تقرأون اقضية وأقدارا لا يدركها الاالعليم الخبير ؟ وهل تستطيعون ان تقسموا صادقين بأن ما تسمونه الحق هو الحق فعلا ، وان ما تعتبرونه الضوء هو الضوء حقا ؟ الا يجب ان تعكس الامور اذا أردنا الوصول الى عين الصواب ؟ ومن لكم بمعرفة قصة (النصر للجزائر) لو مت وفي نفسي شيء من حتى ؟ على انه بامكانكم ان تقيسوا عليها الف قصة وقصة ولو لم يقل احدهم بان الشك نصف العلم لقلت انه كل العلم

★ ★

ومهما كان الأمر ، فان (النصر للجزائر)قد ترجم الى عدة لغات ، ومنها اللغة الروسية فقد ترجمه اليها الأستاذ كرامينوف ، ونشره بموسكو سنة 1961 ، وقدم له بمقدمة

نشرت أيضا بالعربية والفرنسية(1) وقد أخبرني الأستاذ محمد سعيدى الذي كان عند نشره طالبا في موسكو ، بأنه قد راج رواجا كبيرا وأخبرني الأستاذ محفوظ قداش انه رأى (النصر للجزائر) في أرشيفات يكس بفرنسا مبعوثا من القنصلية الفرنسية بالقاهرة وهو مترجم الى الفرنسية جزئيا أو كليا (الشك مني) ولا أدري ما اللغات الأخرى التي قيل انه قد ترجم اليها(2) ولا شك ان سبب رواجه يعود الى موضوعه قبل كل شيء فقد كان انصار واصدقاء الجزائر الثائرة عندئذ يجدون فيه صوتا من أصواتها الصادقة (3)

ورغم رواجه في الخارج على ذلك النحو ، فان (النصر للجزائر) بقي غير معروف للقارىء الجزائري ، فهو لم يدخل الجزائر لأن صدوره كان أثناء قمة حرب التحرير ، ولم يدخلها من بعد الاستقلال لأنه لم يطبع ثانية ، لذلك تجدني أكثر من سعيد عندما أضعه اليوم بين ايدى القراء العرب عموما والجزائريين خصوصا

---

(1) ترجم المقدمة الروسية الفرنسية الاستاذ عبيد (جامعة الجزائر) ونشرت في (المجاهد الثقافي) بالفرنسية - بتاريخ 7 جوان 1975 ثم ترجم الاستاذ حاجيات (جامعة الجزائر) النص الفرنسي الى العربية ونشر في مجلة الثقافة عدد 32 1976

(2) جاء في مقدمة الطبعة الروسية ان الديوان قد ترجم الى لغات أخرى من بينها الروسية ولا ندري الآن ماهي هذه اللغات ولكن يبدو انها جميعا لغات أوروبا الشرقية واسيا السوفياتية.

(3) اكتفت بعض الاوساط بنشر مقدمة الشيخ المدني بحذافيرها ، كما فعلت عندئذ جريدة (العلم) المغربية وجريدة (الصباح) التونسيّة

وحتى يحتفظ بنكهته التي ظهر بها اول مرة ، وفي الظروف التي تحدثت عنها رأيت ان اتركه على ما هو عليه ، اي كما اصدرته دار الفكر منذ أكثر من ربع قرن ولم أغير منه شيئا سوى أن الشعر فيه كتب هذه امرة بخط اليد بدل حرف المطبعة أما العناوين والصور الداخلية ومقدمة الشيخ أحمد توفيق المدني والمقدمة الأخرى التي أضافتها الدار الناشرة فقد تركتها على حالها(1)

ولا يسعني الا ان اتوجه بالشكر الى القائمين على مجلة (آمال) الذين تبنوا اعادة طبع (النصر للجزائر) وتحمسوا له ووفروا له الامكانيات الفنية ، وشتان بين عهدين وبين ناشرين ! واذا كان الربح المادي في الطبعة الأولى قد بقي حبرا على ورق فان الربح المعنوي لهذه الطبعة قد تحقق بمجرد ظهورها على الأرض التي فجرت الثورة وفجرت الشعر في قلب صاحب الديوان

وما دامت هذه المجموعة قد قيلت في فجر الشباب فاني اود أن أقول للشباب الجزائري عموما والشعراء منهم على الخصوص بأن أكبر رصيد في حياة المرء ، مهما امتدت ، هو حبه لوطنه واعتزازه به وبأمجاده والتفاؤل بمستقبله والدفاع عنه والعمل على اصلاحه وتطويره دائما الى مستوى افضل ذلك ان صاحب هذا الشعر لم يكن في يوم من الأيام يائسا من انتصار

---

(1) كنت فكرت في «اعدام» (النصر للجزائر) والغائه من مؤلفاتي وذلك بدمج قصائده في دواويني الاخرى ، وبدأت ذلك بنشر عدة قصائد منه في ديواني الآخر (ثائر وحب) وكأني باعادة نشره الآن أبعث فيه الحياة

الثورة ، فلم اليأس اليوم من تحقيق الحياة الأفضل والاجمل والأقوى ؟

أبو القاسم سعد الله
ابن عكنون (الجزائر)
31 مايـو 1983

تضامن الشعوب

أرض الاحرار

اليـك السلام يا شمـال أفريقيـا
الذي يتلقى ضربات السلاح
والتحيـات لبـلادك الثلاثة
الصامدة للبطش والعـدوان
وباسمـك يا شمـال أفريقيـا أحيي
كل البلاد التي لا تقهـر
أحيي كفـاحك البـاسل
وأحيي أولئك الذيـن يثيـرون الغضـب
وأولئك الذين غيبتهم الحـرب
وأنشـد للاحياء الذين يحلمون وهم واقفون
وللاموات الذين يملأ أفـواههم التراب.
وأتلقى في أحضـاني بالعناق
كل المواليد الجدد البازغين من الاعشاش
ايـه يا مواليد تونس والجزائـر ومراكش
أيها الصغار المتألمـون
ايتها الـورود المهصورة
تحـت سياط الجريمة
مازال لكـم المستقبـل

للشاعر الفرنسي «جاك ديبوا»
ترجمة الشاعر «عبد الرحمن الشرقاوي»

أوقفوا الحرب في الجزائر

تصدر «دار الفكر» ديوان «النصر للجزائر» للشاعر الجزائرى «أبو القاسم سعد الله» كمساهمة في أسبوع التضامن مع الشعب الجزائري المناضل من أجل حريته وعروبته وسيادته على أرضه ـ وقد اقترح حملة أسبوع التضامن الإتحاد العالمي لنقابات العمال فأكد بذلك موقف الطبقة العاملة كطليعة للنضال من أجل حريات الشعوب ، وكمدافع دائم عن سلام العالم - ومبادرة الاتحاد العالمى لنقابات العمال باتخاذ هذه الخطوة لاكبر برهان على أن الشعوب التي تكدح وتنتج وتبنى وتتطلع الى مستقبل افضل تجمعها اليوم وحدة الارادة في النضال من أجل حماية السلام واحترام سيادة الدول صغيرها وكبيرها فالاتحاد العالمى لنقابات العمال يضم بين صفوفه ملايين العمال من كافة بلدان العالم ، ومن بينها الدول الاستعمارية ومن بينها اتحاد النقابات الفرنسى أي عمال الدولة التي تشن الحرب الاجرامية على الشعب الجزائري

ان قوى السلام والتحرر التي تتحرك اليوم لتعلن صوتها وارادتها متضامنة مع الشعب الجزائري لقادرة على أن تحرز انتصارا جديدا فاسبوع التضامن مع الشعب الجزائري يأتي بعد انتصار حاسم أحرزته قوى السلام في بور سعيد - ولم يكن من الممكن أن يسحق العدوان على مصر بهذه السرعة وأن تنقذ دماء أخرى من أن تسفك وبيوت أخرى من أن تدمر اذا ترك الشعب المصرى يواجه قوى العدوان وحده - ولم تكن هذه أول تجربة لقوى السلام - فمن قبل نجحت في وقف الحرب

الكورية ، ونجحت في فرض الهدنة في الهند الصينية ، ونجحت في جنيف حين اجتمع قادة الدول الاربع الكبرى وأعلنوا على العالم أن أسلوب التفاوض هو الطريق الوحيد لتخفيف حدة التوتر الدولى ولحماية العالم من الحرب

ان قوى السلام اذا نظمت صفوفها وحملت على عاتقها وقف المخاطر العاجلة التي تواجه البشرية لقادرة على أن تنتزع انتصارات جديدة

ان وقف الحرب في الجزائر اصبح مطلبا عاجلا

اننا نطالب بوقف اطلاق النار فورا

ونطالب باطلاق سراح الآف الوطنيين الجزائريين الذين قبضت عليهم السلطات الاستعمارية الفرنسية ووضعتهم في السجون والمعتقلات

ونطالب بايجاد حل سلمي عادل وديمقراطي لمشكلة الجزائر

اننا ونحن نحيي الشعب الجزائرى ونحيي نضاله الباسل نؤيد حقه في تقرير المصير والاستقلال وفي سيادته الكاملة على أراضيه

عاش تضامن قوى السلام والتحرر مع الشعب الجزائرى المناضل

«دار الفكر»

[القاهرة ، 1957]

مقدّمة

احمد توفيق المدني

ان كان الشاعر مرآة شعبه ، ولسان بيئته وان كانت قصائده ومقطوعاته صورا حية تسجل الحياة في سجل الخلود بما لها وبما عليها ، فشاعرنا المبكر سعد الله قد سجل لنا ولمن يأتي من بعدنا صورا صادقة عارية عن حياة الثورة العارمة التي يحياها شعب الجزائر الابي والتي لا تنتهي الا بفوزه وتحقيق أمانيه

والثورة الجزائرية عريقة

والثورة الجزائرية عامة عارمة

والثورة الجزائرية تتناول كل مناهج الحياة في الحاضر والمستقبل هي ثورة في السياسة وثورة في الدين وثورة في الاقتصاد وثورة في الثقافة وثورة في ميادين الاجتماع ، فمن تأمل قصائد ومقطوعات شاعرنا الناشىء الثائر رآها تعبر عن جميع تلك الأحاسيس وتختلج بكل هاتيك المشاعر ، وتتناول بيد الفنان الملهم مختلف عواطف الشعب وزفراته وآلامه ،

وعذابه وآماله ، فتصوغها دون تكلف شعرا ساميا ، ان لم يرض كل جزائري عن ألفاظه وموازينه وقوافيه ، فأنا أؤكد أنه يعبر أصدق تعبير عما تجيش به نفس كل جزائرية وكل جزائري ، وجميعهم جنود هذه الثورة الجامحة وأعوانها

فهو يمثل لنا روح الشعب الجزائري الذي تحمل ارهاب الاستعمار طيلة مائة وثلاثين سنة ، وكبله بأغلال العبودية ، وضرب على نفسه العزيزة الابية ذلا ومسكنة ، فما رضخ يوما لضيم ، وما استكان يوما لاستعباد وما وهنت له قوة ، فكان لسان حاله كما صورته لنا ريشة سعد الله الماهرة

اترانا لو رضينا بحياة الذل والعيش المهين
فتضرعنا وقبلنا النعال   وكان مدمعنا هتون
نعصر الرحمة من قلب الجلاميد ونستجدى المنون
أترانا نمنح الحق ، ونعطي عيشنا الحر السجين ؟

كلا ! لم يحاول الشعب الجزائرى ذلك ، ورأى رأي العين ، خلال التجارب التي عاشها والكارثات الاستعمارية التي أصابته ان هذا الاستعمار الفرنسي القاسي الغاشم ، لا يلين ولا يرحم ، انه استأثر بالأرض الجزائرية كلها دون شعبها ، واغتصب ما فوق الأرض من خيرات وما تحتها من معادن ومناجم ، واستعمل ابناء الأحرار من أهلها عبيدا يسومهم سوء العذاب ، وينكل بهم فيمعن في التنكيل ، ويهينهم الى ان يمزق قلوبهم ويحرق أكبادهم انهم أصبحوا مع الاستعمار ، كالسائمة

بل هم ، دون غلو واغراق   قد أصبحوا شرا من السائمة ، فيقولون على لسان سعد لله

حتى م أفترش الحصير
وأساكن الكوخ الحقير
وأساهر الحرمان والألم المرير
وتلوك جنبي الخشونة
ويحيطني قبو العفونة ؟

كالآلة الخرساء أعمل مطلقا
بدراهم وشتائم
لاغاية تدنو ولا أملا طليق
دنيا من الحرمان والدم والشهيق !

فالى أي أفق تتجه أنظار هذا الشعب الذي حطم الاستعمار فيه كل شيء الا الامل ، وابتز منه كل شيء الا الشرف ، وحال بينه وبين كل شيء الا ايمانا طوى عليه كشحه ، وأمجادا نقشت على صفحات قلبه ؟

انه لا ينظر الا في اتجاه واحد   هو الاتجاه الانتقامي

انه لا يفكر الا في شيء واحد   هو ثورة عارمة جديدة من ورائها حياة الكرامة والشرف

انه يزمجر ويدمدم ، كأسد جريح سالت دماؤه ، ولم يصب في مقاتله فيستعد للوثبة الرهيبة   ويقول

ولكننا سائرون

فموعدنا الفجر عند النهاية
سنطردهم كالكلاب
ونفنيهم واحدا واحدا
لتبقى الجزائر ملكا لنا
ويبقى حماها لنا وحدنا
ونغدو كراما على أرضنا

اني لاشهد ، شهادة مؤرخ وشهادة سياسي انني لم أر خلال ثلاثين عاما قضيتها فوق الأرض الجزائرية الحبيبة ، من لم يقل هذا القول ، ومن لم يترنم بهذا النشيد ولم يهتف بهذا الأمل الثائر فالشاعر يقدم لنا في هذه الأبيات البسيطة في ألفاظها ، أكسير العاطفة الحية الجزائرية التي ظلت تخامر أرواح الملايين من الناس ، ما يزيد عن المائة من السنين

ثم ان الجزائر عريقة في ثوراتها ، عريقة في انتفاضاتها الشعبية الكبرى ماكانت هذه أول ثورة لها على الظلم والظالمين ، وان كنا نود أن تكون آخر ثورة في سبيل التحرير ، فالشعب الجزائري قد ألف الثورة ودرج في أحضانها منذ عهد (يوغرطة) و (ماسينيسا) ، ضد الطغيان الروماني ، وما زال يثور ويثور ويثور ، كلما مسه ظلم أو داس شرفه معتد ، او دنست ارضه أقدام محتل دخيل فهو ينشد منذ مايزيد عن الالفى سنة ، نشيده الخالد الذي ربما تغيرت كلماته ، وتباينت تراكيبه ، الا ان معناه قد بقي هو هو لم يتغير الى ان يتغير المنكر الاستعماري العظيم

لتمضى السنون ، وتسحب خطاها
الى منتهاها
فانا نسير
على متنها ، أو نطير
نصارع أيامها العاصفة
بأرواحنا الماردة
فداء المصير
مصير الخلاص !

وخلال هذه الأيام التعسة ، وهذه الليالي السوداء ، وفي خضم هذا الطوفان الاستعماري الفظيع ، أشهد أن الجزائر لم تنس عروبتها ولم تتنكر يوما لأجدادها ، ولا لأمجادها فكان شعبها الابى ، المجاهد ، يعاني مع العروبة آلامها ، ويئن لجراحها ، ويستعد للمشاركة في ثأراتها ، ورفع الوية مجدها ، فما كان الجزائرى العربي يوما أنانيا ، ولا أنسته مصائبه يوما مصائب اخوانه ابناء يعرب الاباة فشعب الجزائر من بناة وحدة العرب ، ومن أول المنادين بالقومية العربية التي تجمع أوصال هذه الأمة الخالدة الممتدة من الخليج العربي الى سواحل الاطلسي

فمحن الجزائر وأوصابها وآلامها ، وسكرات الموت الاستعماري التي كانت تعانيها ، لم تحل بينها وبين نجدة اخوانها في دم العروبة عندما حلت بساحتهم نكبة الصهيونية ودارت عليهم دائرة المتصهينين ، فالشعب الجزائرى كله كان يومئذ

يصرخ مع سعد الله ، ولا يزال ، وهو يعاني أفظع حرب استعمارية قذرة ، يصرخ

من فم الاطلس نشدو «وحدة» لا تفصم !
من فم الاطلس نشدو «ثارنا» المنتقم !
من فم الاطلس نشدو «يافلسطين» الدم !
من هنا من قمة مشحونة بالثائرين
سوف يمتد النداء
لفلسطين التي تتلو الولاء
والتي لما تزل حمراء جرحا وسلاح
للجروح الراعفة
في بلادى حيث كانت
سوف يمتد النداء

★ ★ ★

وأخيرا كان ما لم يكن من وقوعه بد
وأخيرا نهض الشعب نهضة الجبابرة
وأخيرا انتفض العملاق الجزائرى ، الشعب الجبار

فكانت الثورة الكبرى ، وكانت معركة التحرير الدامية المريرة ، وكانت الفظائع والجرائم الاستعمارية التي لم يرو لها التاريخ مثيلا

وهاهنا في الملحمة الكبرى وبين صفحات البطولة النادرة التي سجلتها دماء الشهداء والتي ستتغنى بها الاجيال ينسجم الشاعر مع روح شعبه ، فعشرة ملايين من الجزائريين .

تقول مع سعد الله

يابلادي أدركي يوم النشـــور

حطمي الســد وغني بالنـذور

فجري الثأر رصـاصـا وسعـير

ان خلف الثــار نارا ثم نـور !

وتلتهب نار المعركة العظمى معركة التحرير والاستقلال معركة النور معركة البعث والنشور وتسير جموع الشعب شيبا وشبانا نساء وفتيات في زحف مقدس سيظل أسطورة العصور

وهذه الجموع زاحفة

بعزمة كالعاصفة

خفاقة البنود

الى الغد المنشود

أي نعم الى الغد المنشود فالغد المنشود هو الحرية والغد المنشود هو الاستقلال ، والغد المنشود هو انهيار الاستعمار الى الابد ، والغد المنشود هو انتصار القومية العربية والغد المنشود هو اتحاد المغرب العربي والغد المنشود هو الجزء الثاني من ديوان سعد الله يسجل لنا فيه انفعالات النفس الجزائرية الابية في عهدها الحر المنشود عهد الاستقلال والكرامة والعزة

احمد توفيق المدني

رئيس مكتب القاهرة لوفد جبهة التحرير

والامين العام لجمعية العلماء الجزائريين

القاهرة ، 1957



كان حلما واختمار

كان لحنا في السنين

كان شوقا في الصدور

أن نرى الارض تثور

أرضنا بالذات . أرض الوادعين

أرضنا بالذات أرض الكرماء

أرضنا السكرى بأفيون الولاء

أرضنا المغلولة الأعناق من قرن مضى

كان حلما، كان شوقا، كان لحنا
غير أن الأرض ثارت
والهتافات تعالت
من رصاص الثائرين
والكثافات تهاوت
مثلما تهوى الظنون
والنفايات توارت
وبراكين بلادي هزت الدنيا ومارت
كقلوب الكرماء الوادعين
وصحا أهلي من سكر السنين
وبدا الأفيون حقدا في الجبين

ولقد صرنا كراما مثلما كنا كرام

نمنح الأعداء وفرا من رصاص

وتكيل لهمُ أيدينا موتا زؤام

إننا كنا كراما أسخياء

زرعوا فينا الولاء

وأعدونا ليمحوا ذاتنا

ليذيبونا اندماجا وفناء

أى جرم أن نكون الأسخياء !

فتكيل لهمُ أيدَينا موتا زؤام ؟!

كان شوقا ، كان لحنا ، كان حلما
أن نرى الأرض تثور
أن نرى الأفيون نارا في العيون
غير أن الليلة الليلاء شفّت عن بطولة
والنداءَ الحر قد هز الرجولة
والشتاءَ السّادر المقرور قد عاد ضرام
والولاءَ الوافر المخدور قد عاد انتقام



بلادِي التي تطلع الشمس فيها

دماءً تضيء الربى اليانعه

بلادي التي تلتقي قبضتاها

على عنق لغصب الجائعه

بلادي الجزائر إذ تجتليها

ترى الخلد في لوحة رائعه

* * *

أضاءت بلادي طريق الخلاص

لمن يسأل الليل ان ينجلي

وحطمت اسد فانساح منه

على الأطلس الخالد المخملي

جداويلُ نور وأنهارُ حب

تزف الصباح الى المقبل

* * *

إذا هي ثارت على غاصبيها

رأيت البطولة ملء الجباه

صواريخَ تنفضّ نارا ونورا

فتردي حياة وتبني حياه

وكل الحصا شارةٌ تتلظى :

هنا مصرع الغاصبين الطغاه

* * *

وإن هي هشت إلى ناظريها

وشفت على روحها الطيبه

رأيت الكرام الأولى جملوها

وأضفوا عليها الحلى المسهبه

وتلقاك منها الوجوه الحسان

وعبر الوجوه دُنى مطربه

القاهرة ١٥/12/56



يا بلادا خضّب النصرُ ثراها

أوقدى الشعلة فالكل وراها

كتلة لن يفصم الظلم عراها

ثأرنا الدامي دليل لسراها

* * *

لن يجف الجرح أو يلتئم

جرحنا القاني الذي يحتدم

أبدا تنهال منه الحمم

انه نار وريح ودما

* * *

لاحياة لدخيل عن ترابي

أنا للأرض التي غذت شبابي

عشت فيها بمراحي ومصابي

كيف أحيا وهي في ظفر وناب!

* * *

إن جرحي راعف بالانتقام

ثائر للثأر، محموم الصدام!.

لم يلن عزمي ولم تهدأ ضرامي

فأنا للثأر، والثأر قوامي!

القاهرة 17/11/56



ياعقاباً لِمَ لَمْ تقبض جَناحك

يافضاءً لم لم تشهر سلاحك

ياسماءً لم أمسكتِ رياحك

ياندِيما لم حطمت قداحك

وطني !.. قد آست الدنيا جراحك!

* * *

أمل كان مع الصبح رفيقا

رضي الجو جناحاً وطريقا

فَعلَا يسكب في الجو الرحيقا

عبر أفق قد رعى الحب وريقا

وطني !. شُبَّ من الدمع حريقا!

* * *

نزل الأرض الحنونَ القَشعَمُ

هالة كبرى ، وقلب يحلم

لم تحطمه قيود تصدم

خلفه الشعب العظيم الأكرم

خلفه العملاق يحدوه الدم !

* * *

ماوراء الخطف يامغتصب ؟

ماوراء الجرم يا مرتكب ؟

أترى فكرت فيما تحطب !

أم ترى أعماك يأس غيهب

فارتكبت الحمق ريحا تصخب !

* * *

لن يفتَّ الخطف فينا والعذاب
خسأ المحتل قد خاب صواب
فالتراب الحر نار وحراب
أبداً يرتج بالثأر الخضاب
أبدا لن يسقط الشعب العُقاب!

* * *

آمن الشعب بنصر القائد
آمن الشعب بيوم خالد
في احتفال بانبعاث صاعد
إنه يوم السواح الواعد
إنه ذكرى الكفاح الصامد

* * *

يا بلادي أدركي يوم النشور
حطمي السد وغنى بالنّذور
واحضني الافقَ أكفا وصدور
فجرى الثأر رصاصا وسعير
إن خلف الثأر نارًا ثم نور

القاهرة 56/12/19



يا أخي الضارب في دنيا الكفاح

أيها الساخر من عصف الرياح

يا ابن أمي ، أيها الدامي الجراح

لا ترعْ ! وابشر بإشراق الصباح

فالغد المنشود خفاق الجناح

***



يا أخي ، والكون منا في صراع واصطخاب

ضجت الريح ، وثار الليل وارتج العباب

نحن من طين ولكن حولنا تعوي الذئاب

نحن من طين ولكن يومنا ظُفْر وناب

وأخونا ذلك الانسان مفقود الصواب

***

أترانا لو رضينا بحياة الذل والعيش المهين

فتضرعنا وقبلنا النعال وكان مدمعنا هتون

نعصر الرحمة من قلب الجلاميد ونستجدي المنون

أترانا نُمنَح الحقَّ ونُعطَى عيشنا الحر السجين

إننا ياشعب طين مثلهم فلنحطم القيد اللعين

★★★

قلت للارض التي فيها رفات أبويا

لم نحن قد خلقنا هكذا طينا دنيا

نسفح الدمع ونمضي دائما شعبا غبيا

قالت الارض كلاما لم يكن الا دويا:

دَفَنَ الذل أناسا قبلكم بين يديا !

* * *

إن قلبي - حيث كنت - أمل يحوي الوجود
أمل يصبغه دمي وتحدوه الجهود
أن أرى الطين عزيزا أن أرى أصلي يسود
أن أرى رجليك ياشعب تفكان القيود
والجباهَ الساجدات ترفض الآن السجود

***

ذات يوم كنت امشى بين أحضان المدينه

فإذا بالشعب أكوام وأشلاء مهينه

وزئير الموجة الحمراء يجتاح السكينه

وبقايا جثث خرساء، والدنيا الحزينه

وصراخ من بعيد : عاش من يفدي حصونه !

* * *

صقتُ بالهم الذي أرّقنى طول الليالي

فخرجت، لست أدري، هائما عبر التلال

إذ رأت عيناي نسرا حائما فوق الجبال

كان ذاك النسر من طين ولكن في الأعالي

وأنا، بل نحن، ياشعب، بقايا في الرمال!

***

دخل الغابة نَمْرودٌ رهيب متدرعْ
فمشى مشية ليث مكفهر يتدفع
نحو غايات تراءت في ظلام تتقشع
كان يمشي لا يبالي في اندفاع وتطلع
ليتنا نمضي سواء. لنحوز الفخر أجمع

***

يا أخي الرابض في تلك البطاح

انك اليوم سفير للفلاح

حولك الشعب . وآمال فساح

فخذ الحق اغتصابا واكتساح

أيها الرابض في تلك البطاح

نشرتها (البصائر) 6/4/56



أجب بربروس !

أشعبا تعذبه أم ذباب

أقلبا تحطمه أم حجر

وماذا ؟ أأنت الجحيم الذي لايطاق

أباستيل أنت مليئا جثث

مليئا عفونه   مليئا قيم

أعادتك أيدي الطغاه

لتخنق أنفاس شعب يريد الحياه

أجب بربروس ! [1]

أباستيل أنت لهذا الزمن

لهذى الجموع الغضاب

أعدك (سوستيل)[2] للثائرين

كرمز مخوف .. مهول

وأحكم أقفالك الغاصبون

لتمضغ أجْسامنا

لترهب أرواحنا

★ ★ ★

---

(1) أكبر سجون الجزائر

(2) جاك سوستيل هو عندئذ الوالي العام الفرنسي على الجزائر.

وهيهات يا ألف قفل حديد
ويا ألف سوط شديد
ويا ألف زنزانة مظلمه
ستنهار جدرانك الشامخه
وأقفالك المحكمه
كأمس البعيد
بأسلحة الظافرين
بأيد غلاظ شداد
بأيدي الجموع الغضاب
تماما، كأمس البعيد
فأصبحت شيئا من الذكريات
ستغدو من الذكريات

القاهرة ١/6/56

شاعر حرّ

النار رمز جهاده
والنور لون وجوده
والحب ملء فؤاده
واللحن ملء قصيده

***

يصوغ للناس شعرا
من دمّه ودموعه
ويسكب الشوك عطرا
لوطنه وجموعه



وفَضّتِ الغلافَ في اضطراب
أناملا معروقة سمراء
تفوح بالدهان والعرق
وكان وجهها خطوط
وقلبها بخور
وشَعرها خميلة جرداء ..

وأدنت البطاقة الزرقاء
من المنظار الاشعث الحزين
وحدقت بعمق واشتهاء
إلى الظلال في الحروف
الى العنوان التائه المسحور:
« برقية من الجبل »
وأفرغت أضواءها على السطور
أضواءها العريقةَ القِدم
وتمتمت

« استُشهد الصديق ،
محمد ، بطلقة صماء
إذ كان في اشتباك
يطارد الأعداء
وقال في احتضاره :
المجد للوطن
أموت في ثراه
ذرةً من تُربِه ، قطرة من مائه ،أماه !
والثمي أطفالي
ورددي نشيدي
المجد للوطن
رفاقه على الجبل »

ومدت اليدين في الفضاء
وفي العينين دمعتان من لهب
وثرثرت بصوتها المخنوق
« المجد للوطن »

***

وظلت الرياح تنشر الخبر
والارض تروى قصة البطل
والقبر يحضن الجثمان بافتخار
والفجر صاعد ضياء
مرددا : « المجد للوطن » . !



النصر للشعب

الرأى رأى القادة الأحرار[1]

فهم الثقاة وهم حماة الدار

لهمُ القلوب مواطن ولهم يد

محفوظة في موطن الاسرار

فإذاهمُ نادوا أجابت أمة

مرصوصة في موكب جبار

لاتنثني عن حقها وكفاحها

مهما استعان الظلم بالأنصار

والنصر للاحرار.. للشعب الذى

يبني الحياة على الكفاح النارى

القاهرة ١٥/3/56

---

(١) عندما زعمت فرنسا أن الجيش لايمثل الشعب.

ثورة الأرض

حتى م افترش الحصير [1]
وأساكن الكوخ الحقير
وأساهر الحرمان والألم المرير
وتلوك جنبيَّ الخشونه
ويحيطني قبو العفونه
في ظلمة عمياء تطفح بالخشاش

---

(1) على لسان الفلاحين الجزائريين .

لا البدر يؤنسني إذا انطفأ الفتيل
لا الشمس ترحمني إذا انعدم المقيل
وأظل ملتصق اليدين
بالتربة المنتاج والشجر الوريق
أجنى وأقطف جاهدا
ثمن النشاط الدائب
فإذا تكوّم محصدي

ومسحت جبهتيَ الكئيبه
وتنفستْ رئتي الهواء
لم أجن غير دراهمٍ
حينا، وأحيانا شتائم

***

طول لنهار.. تصوروا طول النهار
أسبت لارض الخراب
وأغالب البؤس المميت
لا البرد يقعدني ولا الريح العصوف
لا اليأس يرفق بي ولا المرض العضال
طول النهار
كالآلة الخرساء.. أعمل مطلقا
بدراهم وشتائم
لا غايةً تدنو ولا املا طليق
دنيا من الحرمان والدم والشهيق

فالأمسُ لوح أسودُ

واليوم موج يصخب

وغد طريق مبهم

وأنا هنا

أبدا أنا

لا شىء غير كآبةٍ حيرى يصاديها الضَّنَى

اين الغنى

والثروة المعطاء والعيش الرغيد

اين الهناء

ماذقته قط ولو في يوم عيد

***

يا مترفين

هل تعرفون !

كوخي الحقير

كيف الرياح تجوسه

وفم الزمان ينوشه

وعلى الحصير

ولدى الصغير

كبدي الصغير

يا مالكين
هذا ترابي من قديم
أسقيه من عرقي وافراحي الحبيبه
أسقيه ذكراي الكئيبه
أسقيه الحان البطولة
هذا ترابي من قديم
يا مالكين !
تفديه كل جوارحي ودمي الحميم

يامترفين !
إنّا هنا . ابدا هنا
ذعر واعصار ونار
لا شىء يمنع سيلنا
إن قَعْقَعَتْ في أفقكم عزماتنا وسلاحنا
إنا هنا ، أبدا هنا
نمشى على الشوك المذرّب والحديد
ونشيد دنيا من أمانينا الحبيبه
دنيا طليقه
في أرضنا الملأى بطاقات الحصيد
سنعيش أحرارا وصِيد
في أرضنا البكر .. الولود !

نشرتها البصائر 55/3/28



القرية التى احترقت

قريتى قد حرقوكِ

بخروك عود طيب

يفعم الارض حياه

ويثير الشعب في وجه الطغاه

حرقوك بخروك

حين ضجوا من بنيك

في الدغال المانعه

بخروك .. حرقوك

دون عطف أوضمير

دون وجه من حياء

يا لهم من جبناء
حفنات من طغام
من ذباب ، من نفايات الشعوب
حرقوك ... خربوك
ما الذي ألْفوه فيك
غير ربات الحجال
وصغار في المهود
ودجاج ومتاع
مع هذا حرقوك
مثل حصن من ورق
ورأوا نيرانَهم تأكل فيك
بعيون من حديد

***

هكذا ينتصرون !

ويعودون نشاوى

حيث يُجْزَون نياشين والقاب البطوله

هكذا ينتصرون

يشنقون الابرياء

ويصبون الخراب

كالجراد

كالتتار الزاحفين

ويعودون سكارى

بنشيد الظافرين

ياهم من جبناء

قريتي لا تدمعي
فرصاص الحقد والثأر معي !
والصباح الحرضاحى المطلع !

القاهرة 15/5/56

الثائر الأسير

دماء[1] وجهكَ نور

به تسير الجزائر

وخفق قلبك لحن

يهز فيها المشاعر

ونار حقدك تشوى

وجوه تلك المناظر

وتلهب العزم فينا

فنستلذ المخاطر

ونركب الثأر رأسا

مدافعا أو خناجر

---

(1) عندما رأيت وجه أسير مخضبا بالدم وحوله سلاح العدو يكاد يخترقه

ولن نعود لخلف

ولن نخاف المجازر

مهما قسا المستبد

فلن يمس الضمائر

***

أخى فدتك حياتى

ومُنْيتى وسلاحى

كما فديت الجزائر

بدمّك النضّاح

فداك كل أبيّ

مغامر طماح

هناك انت اسير

صقر بغير جناح

يحوطك الغاصبون

بهالة من سلاح

ياطالما خضت فيها

معارك الإصباح

تهز ركب الكفاح

على رؤوس البطاح

***

لئن غدوت أسيرا

فأنت حر طليقُ

فروحك العبقريّ

معالم وطريق

ووجهك الألمعيّ

صحائف ورقوق

وشعرك المكفهر
صواعق وبروق
أمامك الصحوفا مرق
فأنت سهم دقيق
وعد عليهم خرابا
كما يشب الحريق
وعد إلينا ضياء
كما يفيض الشروق

القاهرة 56/5/29

الفهرس

السعر في الجزائر 19,50 د.ج